ما أهمله ابن فارس في معجم مقاييس اللغة

أ.م.د. فليح خضير شني/ كلية الآداب/ جامعة واسط
أ. د. آلاء عبد نعيم/ كلية الآداب/ جامعة واسط

المقدمة

لقد قام المعجم العربيّ على أمرين مهمين هما ؛ الجمع والتَّأليف ، وأيُّ خلل في أحد هذين الأمرين سيجعل المعجم غير مستوفٍ للغرض الذي أُنشيء من أجله وهو جمع وتدوين ألفاظ اللُّغة العربية ، وفي هذا يقول ابن منظور: " ورأيتُ علماءنا بين رجلين ، أمَّا مَن أحسَنَ جمعه فإنَّه لم يُحسن وصفه ، وأمَّا مَن أجاد وصفه فإنَّه لم يُجد جمعه، فلم يُعَد حُسن الجَمع مع إساءة الوضع ، ولا نَفَعَتْ إجادة الوضع مع رداءة الجَمع"[1] ولقد أصاب هذين الأمرين خلل أدى إلى بروز ظاهرة المهمل. فمن ناحية الجمع، فإنَّ المعجم العربي لم يجمع كلّ ما ورد على ألسنة العرب، فقد غفل المعجميون عن كثير من الكلمات فلم يدونوها ، والسبب في ذلك أنَّهم لم يستطيعوا تتبع القبائل في أماكن سكناها الواسعة ، فلم يسجلوا كلَّ ما تكلم به العرب ، ولم يدونوا ما كان يدور بين أبناء القبائل العربية من أحاديث في مختلف ظروف الكلام ؛ لأنَّ هذا الأمر لا يستطيع أي شخص القيام به إلا أن تكون له صفات خاصة ، ولهذا يقول الشَّافعيّ: " لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي"[2] . وقال أبو عمرو بن العلاء : "ما انتهى إليكم ممَّا قالت العرب إلاَّ قلَّة ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"[3] وهذا يعني أنَّ ما وصل إلينا من كلام العرب لا يمثل كلّ ما تكلم به العرب إنَّما هو نزر يسير من واسع كثير فُقِد ولم يَصلْ إلينا، وسبب فقدانه هو عملية الجمع الناقص، وعدم الاستقراء الكامل لكلِّ ما تكلم به العرب ، ممَّا أدى إلى إهمال كثير من الألفاظ وعدم ظهورها في المعجمات العربية.

مفهوم المهمل

ليس هنالك حدّ دقيق للمهمل في كتب اللُّغة ، وإنَّما هنالك إشارات منها ما ذكره ابن فارس في كتابه الصَّاحبيّ ، إذ يقول:" قال لي بعض فقهاء بغداد : إنَّ الكلام على ضربين : مهمل ومستعمل . قال : فالمهمل : هو الذي لم يوضع للفائدة ، والمستعمل ما وضع ليفيد فأعلمته أنَّ هذا كلام غير صحيح ، وذلك أنَّ المهمل على ضربين : ضرب لا يجدر إئتلاف حروفه في كلام العرب بَتَّةً ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدَّم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء ، أو غين ، فهذا وما أشبهه لا يأتلف.

والضَّرب الآخر ما يجوز تألُّف حروفه لكن العرب لم تقل عليه وذلك كإرادة مريد أن يقول : (غضخ) فهذا يجوز تألّفه وليس بالتأخر ، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة : (خضع) لكن العرب لم تقل (عضخ) ، فهذا ضرب المهمل ، وله ضرب ثالث وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذَّلق أو الإطباق حرف "[4]

وتأسيساً على هذا يمكننا القول : إنَّ ابن فارس يبيّن المهمل بأنَّه ما لم يستعمل من اللُّغة إمَّا لمخالفته النّظام الصَّرفيّ للعربية ، أو لأنّ العرب لم تقل به وهذا الأمر سبق وإن أشار إليه الخليل ، فهو أول من أطلق تسمية (المهمل) على الألفاظ التي لم يستعملها العرب ، أمَّا لأنَّ حروفها لا تأتلف صوتياً ، إذ قال : " إنَّ العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة ؛ لقرب مخرجيهما "[5] أو لأنّ حروفها كثيرة ، فكما كثرت حروف الكلمة قلَّ دورانها على ألسنة الناس وكثر إهمالها ، ولهذا نجد أنَّ أكثر الكلمات الخماسية مهملة ، فيقول: " والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً ... يستعمل أقله ويُلغى أكثره"[6]

أنواع المهمل عند ابن فارس

عند استقرائنا لمعجم مقاييس اللُّغة لابن فارس تبين لنا أنَّ المهمل عنده على أنواع هي :

1. مهمل مقصود: هو الذي أهمله ابن فارس عن قصد منه لأسباب عديدة ، وهذا النَّوع من المهمل ينقسم على أقسام هي :

أ. مهمل لم تتكلم به العرب وهو عند ابن فارس على ضربين :

1. ضرب " لا يجوز إئتلاف حروفه في كلام العرب بتةً ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف ، أو كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء ، أو غين ، هذا وما أشبه لا يأتلف"[7]

2. ضرب " يجوز تآلف حروفه لكن العرب لم تقل به "[8]

إنَّ هذا الضرب من المهمل ليس له سبب واضح سوى أنَّ العرب لبساطة حياتهم اليومية وقلة ما فيها من حاجات وأغراض لم يكونوا بحاجة إلى استعمال كل الألفاظ التي توفرها لهم اللغة ، إذ كانوا يختارون الألفاظ السهلة الخفيفة النطق، وفي هذا يقول ابن فارس : " وذلك كإرادة مريد أن يقول :(عَضَخَ) فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة : (خَضَعَ) لكن العرب لم تقل : (عَضَخَ) "وفي [9] هذا المعنى يقول ابن جني : " فلما كان الأمر كذلك اقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض وكانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم وعارضة أنفسها على تخيرهم " [10]

ب. نوع تكلمت به العرب لكن ابن فارس لم يذكره ، وهو ينقسم على :

1. جذور أهملها بأكملها ولم يذكر عليها شيء سوى قوله : " حفس الحاء والفاء والسين ليس أصلا ، يقال للرجل القصير حيفس"[11] وقوله: " حقِم : الحاء والقاف والميم لا أصل ولا فرع" [12] . وقوله : " حَقَط : الحاء والقاف والطاء ، ليس أصلاً ولا أحسبُ الحَيُقطان وهو ذكر الدُراج صحيحاً"[13].

2. وهنالك جذور لم يذكرها ولم يشر إليها بأي كلمة . منها الجذر (سَفى)، قال صاحب العين : " (سَفَوان) اسم موضع لبني تميم عند جبل يقال له سنام ببادية البصرة [14] وضبطه ابن السكّيت بقوله :" وهو سَفَوان اسم بلد ولا تقل سَفْوان [15] وذكر ابن قتيبة في (باب ما يغير من أسماء البلاد) أنَّ:" حَرَسوس وسَلَعُوس وسَفَوَان ، كلّ ذلك بفتح ثانيه ، وقال الشاعر[16] : رُوَيْدَ بني شيبان بعض وَعيدِكُم

تلاقوَا غدًا خيلي على سَفَوان "[17]

3. ألفاظ ومشتقات ، ذكر جذرها ولكنه أهملها عند كلامه عن الجذر ، نحو قوله :"زحم الزاء والحاء والميم أصل يدل على انضمام في شدة، يقال : زَحَمَه يَزْحَمُه ، وازدحم الناس "[18]. فهو قد ذكر هذا الجذر لكنه أهمل كثيراً من الإلفاظ والمشتقات التي تنتمي إلى هذا الجذر من مثل : مِزْحَم ومُزَاحِم ، جاء في تاج العروس :" ز ح م زَحَمَه كَمَنَعَه يزحَمُه زَحْمًا وزِحَامًا بالكَسْر ؛أي : ضايَقَه وازْدَحَم القَومُ وتَزاحَمُوا تضايقوا والزَّحْمُ القَوْمُ المُزْدَحِمُون... وزَحْمٌ اسمُ رَجُل و زُحْم بالضَّم اسم مَكَّة شَرَّفَها اللهُ تَعالى حَكَاها ثَعْلَب قال ابنُ سِيدَه والمَعْرُوف رُحُم أوهِيَ أُمّ الزُّحْمِ و االمِزْحَم كَمِنْبَر الكَثِيرُ الزِّحام أو شَدِيدُه، ومنه مُنْكِبٌ مِزْحَم ... وَزَاحَم فلان الخَمْسِين وزَاهَمها ؛أي: قَارَبها وبَلَغَها وأبو مُزاحِم الفِيلُ و أيضًا الثَّورُ ذو القَرْنَيْن كما في التَّهذِيب عن ابنِ الأعرابيّ وفي المُحكَم المُنْكَسِر القَرْنَيْن وفي بَعْضِ نُسَخِه المُنْكَسِر القَرْنَيْن وفي التَّهْذِيب يُكَنَّيان بِمُزَاحِم وفي المُحْكَم بأبْنِ مُزَاحِم وأبو مُزَاحِم أَوَّلُ مَنْ قَاتَل العَرَب من خَاقَان وأول وُلاَةِ التُّرْك . ومُزاحِم اسمُ فَرَس وزَحْمَة الوِلادة زَجْمَتُها بالجِيمِ " [19]

4. دلالة من دلالات لفظ مستعمل ، أهملها ولم يثبتها

ثانياً. مهمل غير مقصود

للمهمل عند ابن فارس أسباب كثيرة يمكن تقسيمها على نوعين :

1. أسباب تتعلق باللغة نفسها.
2. أسباب تتعلق بجامعي اللُّغة.

أمَّا لأسباب التي تتعلق باللغة فهي التي ذكرت آنفاً ، وأمَا الأسباب التي تتعلق بجامعيّ اللُّغة فيمكن إجمالها بالآتي:

1. سعة لغة العرب ، الأمر الذي يجعل من الإلمام بها أمراً صعباً بل مستحيلاً ولهذا قال ابن فارس : " قال بعض الفقهاء: كلام العرب لا يحيط به إلا نبي ، وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً ، وما بلغنا أنَّ أحداً ممَّن مضى أدّعى حفظ اللُّغة كلها ، فأمَّا الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمته من قول: (هذا آخر كلام العرب) فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جلَّ ثناؤه من أن يقول ذلك"[20]

2. اتساع جغرافية القبائل العربية ، الأمر الذي جعل تتبع أفراد القبائل التي يحتج بكلامها ومشافهة كل عربي ومعايشتهم دهراً طويلاً بقصد تسجيل كلّ ما يتكلمون به في شتى الظروف والأحوال أمراً صعباً ؛ وذلك بسبب تفرق هذه القبائل على مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وانعزال بعض هذه القبائل في أماكن بعيدة ، كمناطق جنوب الجزيرة واليمن وعمان ، فكيف يتسنى لعلماء من أمثال الخليل وابن دريد وابن فارس وغيرهم الوصول إلى مساكن هذه القبائل كلها ولا سيما في ذلك الوقت الذي لم تتوافر فيه وسائل الإتصال.[21] الأمر الذي سبب إهمال بعض الألفاظ العربية.

3. فقدان التَّصنيف المنظم لما جمع من لُغة العرب، فحتى اللُّغة التي جمعت لم يستطع اللغويون ومنهم ابن فارس تصنيفها وتبويبها بشكل مفصَّل ، ممَّا سبب إهمالاً لبعض المفردات والتَّراكيب ولم تُثبت في المعجم رغم ورودها في لغة العرب شعرها ونثرها " فلو التزمت المعاجم القديمة ترتيباً مستوعباً لكل استعمالات التَّركيب اللُّغويّ ، لكان ذلك عاصماً من أن تُفلت أي منها ؛ لأنَّ أماكنها في التَّرتيب تذكِّر بها ، ولكن معاجمنا القديمة لم تلتزم بشيء من ذلك فتفلت ما تفلت"[22].

4. ضوابط ومعايير الفصاحة

وضع اللُّغويون شروطاً للألفاظ التي دونوها في معاجمهم وهي أن تتوافر فيها معايير الفصاحة ، وهذه المعايير تتأتى بطريقين:

الأوَّل : زماني : فلا يُعدّ اللفظ فصيحاً صحيحاً إلا إذا كان في إطار عصور الاحتجاج التي تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجريّ في الحضر وأواخر القرن الرابع في البادية.

الثَّاني : مكانيّ : إذ قصر اللُّغويون أخذ مادتهم اللُّغوية على بعض القبائل العربية ، وفي مقدمتها قريش وتميم وأسد وقيس ، قال الفارابي: " كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النّطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة وبهم أُقتُدي ، وعنهم أخذ اللسان العربيّ من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد ، فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه ، وعليهم اتُّكِلَ في الغريب وفي الإعراب والتَّصريف ، ثمَّ هُذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطَّائيين ، ولم يؤاخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[23]

وهذان المعياران الزَّمانيّ والمكانيّ جعلا علماء اللُّغة يتوقفون كثيراً عن تدوين اللُّغة وجعلاهم يتشددون كثيراً في التَّحري عن فصاحة اللفظة ، الأمر الذي أدَّى إلى إهمال كثير من الألفاظ التي انتجها أُدباء العربية بعد عصر الاحتجاج فلم تدون في المعاجم ، رغم أنَّ أكثرها كان على وفق أصول الأخذ العربية.[24]

الهوامش

(1) لسان العرب :25/1

(2) الرسالة للشافعي : 42.

(3) المزهر:249/1.

(4) الصاحبي في فقه اللُّغة :81 ــ 82

(5) العين 60/1

(6) المصدر نفسه : 59/1

(7) الصاحبي في فقه اللغة : 82.

(8) المصدر نفسه :82.

(9) المصدر نفسه : 82.

(10) الخصائص : 64/1 ــ65

(11) مقاييس اللغة: 256

(12) المصدر نفسه : 257

(13) المصدر نفسه : 258

(14) العين :7/ 309

(15) إصلاح المنطق : 194

(16) الشاعر : ودَّاك بن نُميل المازني. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي 127/1

(17) أدب الكاتب : 421

(18) مقاييس اللغة : 449.

(19) تاج العروس(زحم)

(20) الصاحبي في فقه اللُّغة : 49

(21) ينظر: الاستدراك على المعاجم العربية: 17.

(22) المصدر نفسه : 21.

(23) المزهر : 211/1.

(24) ينظر الاستدراك على المعاجم العربية : 21

المصادر:

1. أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري؛ أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، مصر،1963م

2. الاستدراك على المعاجم العربية ،د. محمد حسن جبل ، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

3. إصلاح المنطق ، ابن السكيت؛ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ،ط4 ، القاهرة ، 1949

4. تاج العروس من جواهر القاموس ،الزبيديّ ؛ محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر ، بيروت ،1994م.

5. الخصائص ، ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت.(د.ت)

6. الرسالة ؛ الشافعي ؛محمد بن إدريس ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، 1993م

7. شرح ديوان الحماسة ، المرزوقيّ ؛ أبو علي أحمد بن الحسن الأصفهاني،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1987م.

8. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس؛ تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ،1993م.

9. العين ، الفراهيدي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي .تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال . (د.ت)

10. لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت،(د.ت)

11. لمزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة العصرية ، بيروت، 1987م.

12. مقاييس اللغة ، ابن فارس، ط1، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ، لبنان 2001